صفحة من تاريخ اسر بغداد

بيت عراقي قديم

Famille Nazhmi Zâdeh

حسين افندي ابن نظمي البغدادي

— ٤ —

قد تصفحنا مؤلفات عديدة فلم نعثر على تاريخ ولادته . ولكن على كل حال ولد بعد سنة ١٠٥٣ هـ (١٦٤٣ م) اي بعد عودة والده الى بغداد . والظاهر انه الاخ الاكبر لمرتضى افندي المؤرخ الشهير . توفي في غرة المحرم الحرام سنة ١١٣٠ من الهجرة (٥ ك ١ سنة ١٧١٧) .

قال سالم افندي قاضي العسكر في زمن الحكومة التركية [المتوفى سنة ١١٥٦] المعاصر له ولاخيه مرتضى افندي في تذكرته المعروفة بتذكرة سالم التي اتم تأليفها سنة ١١٣٤ في الصفحة ٦٣٠ من النسخة المطبوعة سنة ١٣١٥ في الاستانة ما نصه :

« انهما — اي حسين افندي ومرتضى افندي — من ادباء بغداد ومن خيرة شعرائها . اشتهرا بنظمي زاده (آل نظمي) وهما من افاضل الكتاب . اتخذا اسمهما لقباً لهما . وفي حياتهما نالا الشهرة وذاع صيتهما الى ان قال : ان هذين الاخوين من بيت عريق في العلم وهما من نوادر الدهر وافذاذه في العرفان » انتهى .

وقد اشتهرت مؤلفاتهما في زمنه ووصلت اليه ايام كان معاصرا لهما وهي « شرح وصاف » للمترجم حسين افندي و « كاشن خلفا » لاخيه مرتضى افندي

وقليل من المؤلفين في ذاك العصر من تنتشر مؤلفاته في حياته وتذيع في الاقطار النائية . فالموما اليهما نالا الشهرة الكافية في حياتهما . وقد وصف هذا المعاصر في تذكرته مؤلفاتهما المذكورة خير وصف . ولم يرجح واحدا منهما على الاخر في الفضل والمنزلة الادبية والعلمية وحسن السمعة وعراقة النسب في العرفان . ولكن الايام لم تبق لنا نماذج من شعر المترجم حسين افندي المذكور

لتوضح مكانته الادبية ايضاحا بينا ومع ذلك فان مولفه كاف للتدليل على مقدرته واطلاعه الواسع على اللغات الغريبة من مغولية وفارسية وخوارزمية فضلا عن تضلعه من العربية والتركية .

كنت استغرب ان يلم مثل صالح افندي السعدي الموصلي بلغات كثيرة كما هو مبين في ترجمته المدونة في كتاب الادباء في زمن داود باشا وفي تاريخ الموصل للقس سليمان الصائغ في حين اننا نشاهد من حسين افندي الاطلاع الواسع على اللغات الاخرى .

ومن مؤلفات حسين افندي « شرح وصاف » . وتوجد منه نسخة في الموصل (صفحة ٧٣ من مخطوطات الموصل للدكتور الفاضل داود بك الجلبي) ونسخ اخرى في الاستانة وفي خزانة ڤينة « النمسة » ولما كان قد وصف الكتاب في خزانة ڤينة وفي تذكرة سالم فاني اكتفي بمجمل ما ورد فيهما عنه بعد ان اعرف القارئ « بتاريخ وصاف » وهو اصل هذا الكتاب .

تاريخ وصاف

ويسمى « تجزية الامصار وتزجية الاعصار » للخواجه عبدالله الشهير بوصاف الحضرة . فرغ من تأليفه في شعبان سنة ٧١١ هـ (ك ١ سنة ١٣١١) وهو تاريخ فارسي نظير تاريخ العتبي في العربي سلك فيه مؤلفه مسلك ابيه في تاريخه المعجم [طبع تاريخ المعجم في ايران عدة طبعات وهو متداول مشهور] ذكر وصاف في تاريخه هذا جنكز خان واولاده الى غازان خان . وقد اعتمد المؤرخون عليه وجعلوه في مقدمة مآخذ تواريخهم . ولم يقصد فيه بيان التاريخ فقط بل اراد اظهار مهارته في الانشاء وايراد لطائف النظم والنثر كما جاء في كشف الظنون ايضا . وفي خزانة ڤينة نسخ متعددة منه . وفي الموصل بعض الاجزاء الخطية وفي خزائن الاستانة نسخ كثيرة منه وقد رأيت الجزء الثالث والرابع منه في مجلد واحد خطي كما اني شاهدت الجزء الاول مطبوعا في ايران طبعة حجرية في سنة ١٢٧٢ هـ واوله : حمد وستايشي كه انوار اخلاص الخ وعلى هذه الطبعة تعليقات كثيرة . ولم تصل الينا الطبعة الحجرية التي ظهرت في ديار الهند بمدينة بمبي سنة ١٨٥٢ م .

واما شرحه فهو كما يلي :

شرح وصاف

قال عنه في تذكرة سالم : انه (اي حسن افندي) قد شرح فيه اللغات المشكلة « الغريبة او الصعبة » وفسرها باللغة التركية من تاريخ وصاف الحضرة . وعلم على اللغات التركية بمداد احمر فجمع العربية والفارسية بتأليف لطيف إلا انه كتب اكثر اللغات التركية بلسان الاتراك القديم فلا تأتلف مع التعابير المرعية اليوم « يشير الى زمنه » فاذا اردنا ان نتحرى لغة وجدنا صعوبات ولذا تصديت لجمعها وتحويلها الى لغتنا المعتادة الدارجة وحررتها بهذا الوجه... انتهى ما قاله سالم افندي . وفيه اشارة الى انه اصلح هذا الشرح الذي عده ثمينا وقيما في نظره فاراد ان يقدره حق قدره وان لا يهمل شأنه .

اما خزانة ڤينة فانها قالت عنه ما ملخصه : اوله : « الحمد لله الذي رفع سمع طباق الخضراء بغير عمد ترونها الخ . وجاء في مقدمته انه يبين العبارات المغلقة والفقرات المعضلة واللغات الغريبة المشكلة من عربية وفارسية وجغتائية ومغولية وخوارزمية ومصطلحات علوم ... الخ ويستمر في وصف هذا المعجم ويوضح اهميته للقارئ بحيث يبدي انه لا يستغني عنه من يقرأ الاصل بحيث يصح ان يقال ان الشرح هو الاصل وان التاريخ « تاريخ وصاف » في الدرجة التالية .

وقد اطنبت الخزانة في وصف اجزائه وبينت ان عبدالله افندي القاضي ببغداد آنئذ قد اكمله قائلا : ان شرح نظمي زاده قد وجدت فيه نقصا فاكملته بعدة اوراق بأمر من محافظ بغداد حسن باشا [المتوفى سنة ١١٣٦] لان مؤلفه توفي قبل ان يوفق لاكماله فاعتمد على مسوداته ورتبها .

وقد وصف صاحب الخزانة النسخ الموجودة احسن وصف مما لا نرى الاطناب فيها ضروريا بعد ان تعينت مواطن النسخ وخصوصا منها نسخة في الموصل .

ولعل اهتمام المؤلف حسين افندي البغدادي بهذا الشرح كان بسبب علاقته بتاريخ العراق وتسهيلا لمطالعته . ولذا نرى مرتضى افندي يعتمد على الاصل

ويجعله من جملة مصادره في تاريخ العراق . وقد اهتم العلماء بهذا المؤلف ومن اكمله الحاج محمد افندي من صوفية . وله نسخة موجودة في خزانة قينة اكملت في رمضان سنة ١١٢٦ هـ (١٧١٤ م) اي في حياة المؤلف ايضا .

هذا ولا اطيل القول اكثر من هذا للتنبيه على مقدرة المترجم سوى انني اقول ان لنا اليوم حاجة الى امثال هذه المؤلفات لمقابلة الالسنة والتوسع في مباحث اللغات الشرقية خصوصا لغات الاقوام التي تجاورنا وان لا نهمل ما قام به اسلافنا من التحقيقات امثال هذه ولنطلع على اصول لغتنا الدارجة والكلمات الاجنبية المستعملة فيها مما نسي اصله ولنقف على معنى بعض الالفاظ التي لانعرف مدلولها إلا بواسطة المقابلة اي مقابلة الفاظ اللغة الفصحى بما هو معروف منها في التراجم اللغوية القديمة التي تعارض اللغة الواحدة باللغة الاخرى وهذا النقص عندنا ناشيء من قلة المصادر وعدم وجود ما هو واف بالغرض مما عانى اسلافنا في امر التوغل فيه واشبعوه تمحيصا كافيا . والبحث عن هذا يطول . والآن اكتفي بهذا القدر عن حسين افندي اللغوي الجليل وامضي الى بيان احوال مرتضى افندي . . . واختم مقالي هذا بتصريحي انه لم اعرف لحسين افندي هذا ذرية ولم اجد لها ذكرا في اي كتاب وقع تحت يدي . فهل هناك من يخالف رأينا ويدعمنا بالاسانيد التاريخية ؟ فاننا نشكر له يده سلفا .

المحامي : عباس العزاوي

« لغة العرب » بحثنا نحن ايضا في المدونات التاريخية التي في ايدينا لنرى مايمكن ان نزيده على ما كتبه حضرة الاستاذ عباس افندي العزاوي فلم نعثر على ما يزيد هذه الترجمة وهذه التحقيقات شيئا يذكر . فدل عمل الاستاذ على بحث دقيق وامعان فيه وقد راجعنا كتاب « اخبار السلطنة العثمانية » الذي صنفه ج . دي همر فلم نجد فيه ضالتنا ولم يبق لنا إلا طلبنا هذا الامر من حضرة صديقنا يعقوب افندي نعوم سركيس فانه جهينة الاخبار وعنده الخبر اليقين فلعله يلبي طلبنا .